(في كشف شبهات المجادلين عن عساكر الشرك وأنصار القوانين)

الشهاب الثاقب

في الرد على

من افترى على الصحابي حاطب

ومعه

الإصابة

في براءة الصحابي أبي لبابة

لأبي محمد المقدسي

عفا الله عنه

منبر التوحيد والجهاد

*   *   *

http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.net
http://www.alsunnah.info
http://www.abu-qatada.com
http://www.mtj.tw

الشهاب الثاقب

في الرد على من افترى على الصحابي حاطب

اعلم رحمك الله تعالى أنه قد تناهى إلينا احتجاج بعض المجادلين عن عساكر القوانين بشبهة قديمة يتوارثها المرجئة عن بعضهم البعض ليسوغوا باطل عساكر الشرك، وليرقعوا لهم وليدفعوا تكفيرهم ووصفهم بالشرك.. وهي قصة الصحابي البدري الجليل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه لما أرسل إلى قريش عام الفتح يخبرهم بنية رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إليهم..

قالوا: فمن تجسس على المسلمين لصالح المشركين أو أظهر للمشركين المودة وظاهرهم على الموحدين فليس بكافر، لأن حاطب بزعمهم قد فعل ذلك ومع هذا لم يكفره النبي صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فموالاة الكفار ليست بكفر إلا أن يعتقد المرء استحلالها، ولولا ذلك لما كانت ذنباً يغفره عمل صالح كشهود بدر، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل أنه قال لأهل بدر {**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**}

ثم قاسوا عساكر الشرك والقوانين الذين يفنون أعمارهم في حراسة القانون الوضعي ويسهرون عيونهم لحماية عروش الطواغيت، على حاطب رضي الله عنه.. فأف له من قياس، ما أشبهه بقياس الضراط على السلام، الذي تتبناه بعض المذاهب للخروج من الصلاة...

ويرى الخروج من الصلاة بضرطة أين الضراط من السلام عليكمُ

واعلم أننا قد كنا نسمع هذه الشبهة المتهافتة من كثير من المنتسبين إلى الدعوة السلفية.. وها نحن اليوم نسمعها من غيرهم.. وقد رددنا عليها قبل اثنتي عشرة سنة في كتابنا (ملة إبراهيم) بإيجاز.. وليس بغريب في هذا الزمن العجيب أن نسمع بمثل هذه المجازفات التي مفادها – شاء أصحابها أم أبوا الطعن والافتراء على ذلك الصحابي الجليل إذ مقايسة فعلته بحال عساكر الشرك والتنديد.. يوهم أنه كان من أولياء كفار قريش ومن أنصار المشركين.. فقد سمعنا من بعض مرجئة العصر من قبل ما هو أشنع من هذا وأقبح حين قايسوا مشاركتهم ببرلمانات الشرك ومجالس التشريع الكفرية؛ على تولي

نبي الله يوسف أمر خزائن الأرض، ثم سوّغوا بذلك القسم على احترام دساتير الشرك وموالاة أهلها المشركين والمشاركة في التشريع وفقاً لنصوصها.. فبعداً بعداً...

واعلم أن الانتصار للرأي والاستحسان هو الذي أزرى بهؤلاء في مثل هذه المزالق التي قد تؤدي في النهاية إلى الهلاك، لأن فيها اتهام لأنبياء الله المعصومين وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه؛ بموالاة الكفار وحماية الشرك.. أو بالمشاركة في التشريع والقسم على احترام القوانين.. وحاشا أنبياء الله المصطفيين وصحابة رسول الله المختارين من شيء من ذلك، بل والله لا يرميهم بشيء من هذه المكفرات إلا ضال أو كافر قد برئ من ملة الإسلام، فحذار.. حذار

***

بادئ ذي بدئ..

يقول الله تعالى: {**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات**}

فبين الله تعالى أن في القرآن محكم ومتشابه.. [1]

- وبيّن سبحانه وتعالى أن المحكم هو أم الكتاب، وأصله الذي يجب أن يرجع إليه عند النزاع، ويفهم المتشابه على ضوئه

- ثم بين تعالى أن الناس أمام المحكم والمتشابه طائفتان ... أهل زيغ ... وأهل علم.

- {**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله**} فهؤلاء يتبعون المتشابه ليهدموا به المحكم ويلبسوا على الناس دينهم.

{**والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا**} وهذا حال أهل العلم وطلبة الحق جعلنا الله وإياك منهم، يؤمنون بالمحكم والمتشابه فجميعه من عند الله، ويردون المتشابه إلى المحكم ليفهم على ضوئه ولا يعارضون المحكم به أبداً..

---

[1] وكذلك في السنة كما ذكر الشاطبي في الاعتصام.

فإذا ما نظرنا في مسألة تولي أعداء الله ونصرتهم وحراسة قوانينهم الوضعية وحماية دساتيرهم الكفرية والقسم على احترامها؛ ورددناها إلى المحكم من كتاب الله، وجدناها كفراً بالله العظيم، لا يماري فيه إلا جاهل أو كافر...

إذ أن حماية القوانين الوضعية وحراسة الدساتير الشركية لا يماري في كونه كفراً ـ ممن يعرف حالها ـ إلا معاند يسوّغ حراسة الأوثان والأصنام واحترامها، ومثله لا نعبأ به..

- أما الأدلة على أن تولي أعداء الله ونصرتهم كفر وردة، فهي محكمة وكثيرة؛ وإليك بعضاً منها..

1- يقول الله تبارك وتعالى {**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم**}

فيخبر الله تبارك وتعالى بنص التنزيل أن المؤمن الذي يتولى الكفار يخرج من دائرة الإسلام و ينتفي من جملة المؤمنين ويصبح من جملة الكفار الذين تولاهم..

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في كتابه (**حكم مولاة أهل الإشراك**) عن هذه الآية: (ولم يفرق الله تعالى بين الخائف[2] وغيره بل أخبر أن الذين في قلوبهم مرض يفعلون ذلك خوفاً من الدوائر) أهـ ويريد قوله تعالى بعد ذلك: {**فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون**

[2] تنبه أن هناك فرق كبير بين الخائف الذي يقع في الكفر خوفا على الدنيا والراتب ونحوه، وبين المكره على إظهار ذلك إكراها حقيقياً بشروطه المعروفة، قال تبارك وتعالى: {**ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين**} فلم يعذر الله من أظهر الكفر خوفاً على الدنيا اوخشية من الأذى إلا المكره إكراهاً حقيقياً.. وكذلك قوله تعالى {**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**} البقرة.. قال الشيخ سليمان في حكم مولاة أهل الإشراك: (فلم يرخص الله تعالى بموافقة الكفار على الكفر خوفا على النفس أو المال بل أخبر عمن وافقهم بعدما قاتلوه ليدفع شرهم أنه مرتد فكيف بمن وافقهم من غير قتال!؟) أهـ

نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين} سورة المائدة .

وهذا دليل على أنهم لم يستحلوا ذلك!! بل ما دفعهم إليه إلا الخوف على الدنيا (الراتب والوظيفة والتقاعد ونحوه...)

*** شبهة:**

جعل البعض قوله تعالى (فإنه منهم) ظني الدلالة فجعله كقوله صلى الله عليه وسلم (من غشّ فليس منا).. والحق أن هذا غير هذا لأن قوله (ليس منا) تحتمل أكثر من معنى فإن المتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من خواص المؤمنين وأكملهم إيماناً واتقاهم دينا وأزكاهم عملاً فهو قد حقق الإيمان الكامل صلوات الله وسلامه عليه وسائر المؤمنين يتفاوت إيمانهم فمنهم من قد أتى بأصل الإيمان ومنهم من أضاف إليه الإيمان الواجب ومنهم من قد جاء بكمال الإيمان، فإذا قال صلى الله عليه وسلم: (ليس منا) فيحتمل انه ليس من المؤمنين مطلقا أي: قد نقض أصل الإيمان، ويحتمل أنه ليس ممن أتوا بالإيمان الواجب، ولا يُنفى الإيمان إلا لأحد هذين السببين.. ولما كان الحكم لله وحده والتسمية له وحده رددنا هذا الظني المتشابه إلى المحكم من كلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لنعرف مراد الحق من ذلك.. فوجدنا أن الغش ذنب دون الشرك الذي قال الله تعالى فيه {**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**} ونظرنا في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم فوجدناه لم يكفر الغاش في البر ولا أحل دمه و ماله، فوقفنا عند حدود ما شرع الله لنا وفسرنا (فليس منا) بأن عمله ليس من طريقتنا ولا سنتنا، وهو ليس منا أي ليس من المؤمنين الذين أتوا بكمال الإيمان الواجب، بل هو من عصاة المؤمنين وناقصي الإيمان، فحملنا النفي على درجة من درجات الإيمان؛ هي درجة الإيمان الواجب أو جزءا منها دون أن ينتقض ذلك من أصل الإيمان، ثم رجعنا إلى قوله تعالى **{بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم**} فوجدنا أن قوله تعالى **{إنه منهم}** لا يمكن أن يحمل على غير الكفر؛ لأن المشركين والكفار كلهم خارج دائرة الإسلام وجميعهم ليسوا من ملة الإسلام، وإن تفاوتت درجات عداوتهم للدين، ونظرنا في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، فوجدناه قد أهدر دم من خرجوا في صف الكفار في بدر، وكثّروا سوادهم أو ظاهروهم ـ ولو في الظاهر ـ على الموحدين، وأنه عامل

من أسر منهم معاملة الكفار – مع أنهم زعموا الإسلام – كعمه العباس فقال له (إنما لنا ظاهرك) وقال: (افد نفسك وعقيل) فعرفنا ان قوله تعالى {**ومن يتولهم منكم فإنه منهم**} على ظاهره وحقيقته، إذ لم نجد له صارفاً يصرفه عن ذلك إلى معنى آخر أخص كالنص الأول؛ ولذلك ذكر غير واحد من أهل العلم ومنهم الإمام ابن حزم؛ الإجماع على إمضاء هذه الآية على ظاهرها.. .وعليه فلا يصح بحال قياس هذا على هذا أو إلحاق هذا بذلك..

2- ويقول تعالى: {**سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان * ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب**} الانفال

ففي هذه الآيات ذكر الله تعالى وصفا ظاهرا ومنضبطاً جعله سبحانه علة وسببا لإباحة ضرب أعناق أهله الذين يتصفون به، وبيّن أنهم من الذين كفروا وعاقبهم بأن قذف في قلوبهم الرعب وأباح دماءهم.. {**ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله**}.

والمشاقة: أن يكون المرء المشاق في الشق المناوئ لشق الله ورسوله..

وكذلك المحادة ان يكون المحادد في الحد المقابل والمواجه لحد الله ورسوله ولذلك قال تعالى: {**ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم**} التوبة.

والوعيد بالخلود في نار جهنم لا يذكر غالباً إلا في حق الكفار..

ومثل ذلك المعاداة وهي أن يكون المرء في العدوة المضادة لعدوة عدوه.

ففي هذا كله دلالة واضحة وصريحة على أن من انحاز إلى صف الكفار أو حد المشركين أو شق المشاقّين لله، وعدوة المعادين لدينه، فصار من انصارهم؛ أنه يكون من جملة الذين كفروا وممن أباح الله للمؤمنين ضرب أعناقهم، وتوعدهم بالخزي العظيم وهو الخلود في نار جهنم إن ماتوا على ذلك.

3- يقول تعالى: {**ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط**

الله عليهم وفي العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون}

فهذا نص محكم قطعي الدلاله على أن تولي الكفار، ونصرتهم موجب لسخط الله والخلود في العذاب، – والخلود في العذاب لا يكون إلا للكفار– و لم يقيد الله ذلك بالاستحلال ولا بالاعتقاد، بل استدل سبحانه بما أظهروه من تولى الكفار على إنتفاء الإيمان من قلوبهم فقال: {**ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء...** } فتوليهم للكفار، هو كفرهم وهو دليل على انتفاء الإيمان من قلوبهم {**فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم**} فعكسوا وجعلوا انتفاء الإيمان من القلب (بالاستحلال أو الجحود القلبي) شرطا وقيدا لتكفير أولياء الطاغوت، ومعلوم أن ذلك شرط غير محسوس ولا ملموس حتى يصار إليه في أحكام الدنيا التي ينحصر فيها التكفير في الأعمال أو الأقوال الظاهرة والمنضبطة، أما أعمال القلوب واعتقاداتها فلا سبيل إلى ضبطها ومعرفتها إلا أن تترجم بقول أو عمل؛ فالتعويل إذن أولاً وآخراً في أحكام الدنيا على ما يظهر من الأعمال والأقوال لا على ما يبطن من النوايا والاعتقادات التي لا يعلمها إلا الله؛ والتي لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنقيب عنها والسعي وراءها، فقال: (إني لم أومر أن أشق على قلوب الناس) ... هذا مع أنه مؤيد بالوحي؛ فكيف بغيره!؟

4- ويقول تعالى: {**ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون * لإن أخرجوا لا يخرجون معهم ولإن قوتلوا لا ينصرونهم ولإن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون**}

فتأمل كيف عقد الله تعالى عقد الاخوة بين هؤلاء المظهرين للإسلام وبين الكفار فجعلهم إخوانهم (أي: كفّرهم) بمجرد أن صدرت منهم وعوداً بالنصرة للكفار إن حصل القتال بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم.. وقد أخبرنا الله سبحانه عما في قلوبهم فشهد عليهم أنهم كاذبون بهذه الوعود غير صادقين ولا معتقدين!! لهذه النصرة، بل هو مجرد كلام كاذب القوه بأفواههم، ومع ذلك كفرهم الله تعالى به؛ بأن سماهم إخوان الذين كفروا.. فكيف بمن كان من جواسيسهم أو عساكرهم وأفنى عمره وأسهر ليله في نصرتهم فعلاً، بل زاد على

ذلك حماية قوانينهم وحراسة شركياتهم وأقسم على احترم دساتيرهم والولاء لها ولأربابها؟؟ لا شك أنه يدخل في دلالة هذه الآية دخولا أوليا..

5- ويقول تعالى: {**إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم**}.

فاخبر سبحانه وتعالى أن هؤلاء المذكورين ارتدوا من بعد ما تبين لهم الحق والهدى، وذلك **{بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر**.. }.

فإذا كان من وعد المشركين الكارهين لما أنزل الله تعالى بطاعتهم في بعض الأمر، وتعاهد معهم على ذلك؛ كافر وإن لم يفعل ما وعدهم به، فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما أنزل الله تعالى على عداوتهم لأهل التوحيد.. وصار من جندهم المحضرين الذين يبذلون مهجهم وأرواحهم في سبيل تثبيت عروشهم.. فهؤلاء أولى بالردة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطاعتهم في بعض الامر...

فكيف بمن زاد على ذلك أن نذر حياته كلها للطاغوت فكانت طبيعة عمله ووظيفته أنه من أنصارهم أو جواسيسهم يغدو في غضب الله حارسا لقوانينهم ويُمسي في سخط الله؛ يسهر على حفظ عروشهم وكفرياتهم؟؟ لا شك أنه ممن اتبع ما أسخط الله وأنه ممن ارتدوا على أدبارهم.

6- ويقول تبارك وتعالى {**الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا}**

فهذا نص من الله تعالى صريح بأن الأصل في كل من قاتل في سبيل الطاغوت؛ أو نصره أنه من جملة الذين كفروا وأنه من أولياء الشيطان.

ومعلوم أن الطاغوت قد يكون مشرعا لما لم يأذن به الله، أو حاكما بغير ما أنزل الله، كما قد يكون قانونا أو حكما غير حكم الله أو تشريعا غير تشريع الله.

فهذه الأدلة المحكمة وغيرها مما لم نـذكره تنـص علـى أن من تولي الكفار بمعنى أنه نصرهم على الموحدين؛ أنه من جملتهم وأنه كافر مثلهم، فكيف إذا أضـاف إلـى ذلـك نصـرة قـوانينهم وحراسـة شـركياتهم وحمايـة كفريـاتهم وتثبيتها؟؟

وهـي تـدل علـى أن مـن أصـول ديـن الإسـلام وعـراه الوثقى، أن المسلمين يجب أن يكونـوا فـي عـدوة وجهـة، وعـدوهم فـي عـدوة وجهـة أخـرى، وأن مـن نصـر صـف الكفار وخذل صف الموحدين وأعان على طمس دعـوتهم ورفع راية الشرك والمشركين، فإنه ليس مـن المسـلمين بل هو من جملة المشركين.

وأي واقعة أخرى في السيرة أو قصة أو حادثة تأتي في ظاهرها معارضـة لهـذا الأصـل الأصـيل والقاعـدة الجليلـة المحكمة.. فلا يصح عند العارفين لدين الله الراسخين في العلم أن يعارض أو يهدم بهـا هـذا الأصـل، بـل تفهـم تلـك الواقعة والحادثـة المشـكلة عنـد البعـض علـى ضـوء هـذا الأصـل الأصـيل، ولا ينبغـي أن تعـارض أو تصـادم نصـوص الشرع بعضها ببعض.

بعد هذه المقدمة.. ننظر في حال حاطب.. ونسأل هـذه الأسئلة: -

هـل كـان رضـي اللـه عنـه فـي شـق المشـاقين للـه وشرعه؟ هل كان في حـد المحـادين لـدين اللـه؟ أم هـل كان في عدوة المعادين لله ورسوله..؟ أو كان جندياً مـن جنـود الشـرك؟؟؟ أم هـل كـان جاسوسـاً وعينـاً لهـم؟؟ كهؤلاء العساكر وأولئـك المخـابرات أو المبـاحث أوالأمـن الوقائي الذين يجادل عنهم أهل التجهّم والإرجاء، ويمنعون ويرهبون من تكفيرهم، بل ويصفون من كفرهـم بـأنه مـن الخوارج وأنه يكفر المسلمين بالمعاصي؟؟؟!!!

حاشـا حاطبـا، وحاشـا أصـحاب النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم من ذلك..

وإذ لم يكن في حد أو شـق أو عـدوة أهـل الشـرك، ولا كان جندياً لهم ولا جاسوساً؛ بل كان في شق وحد وعدوة وصف أولياء الله وحـزب الرحمـن، فكيـف يحـل مقايسـة حال هؤلاء المرتدين من جنـود الشـرك وعسـاكر التنديـد، وأولياء الطاغوت؛ بزلة زلها أو خطأ ارتكبه متأولا ثم تـاب، مهما كان حكم هذه الزلة..

ثم أليس هناك فرق شاسع بيـن مـن كـان جنـس عملـه وطبيعته وحقيقته؛ التجسـس علـى المسـلمين ومظـاهرة

المشركين فهم لهم جند محضرون (عبد مأمور) كما يقولون هم أنفسهم..

وبين من زل زلةً متأولا، فأفشى سرا للمسلمين في واقعة؟ وليس من عادته ذلك إذ هو في الأصل من جند الإسلام وعساكر التوحيد وفي شق وحد وعدوة القرآن والإسلام والإيمان، وكان من تأوله حين زل تلك الزلة أنه كان واثقا مصدقا بأنها لن تضر رسول الله ولا المسلمين لأنه موقن بنصر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم..

والله ما استويا ولن يتشابها حتى تشيب مفارق الغربان

ولا يساوي بين الصورتين إلا من لا فرقان عنده بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

ففرق كبير واضح وجلي بين أن يكون المرء من أنصار الطواغيت ومن جواسيسهم الذين هم عيونهم وآذانهم وشوكتهم فيعمل ليل نهار على تثبيت عروشهم وشركياتهم ويظاهرهم على أعدائهم ولو كانوا من خيار الموحدين، وبين من كان جنديا من جنود الإسلام ومن خلاصة أنصار المسلمين؛ لكنه ضعف وزل زلة متأولا أن لا ضرر على المسلمين في هذه الزلة فأفشى سرا لهم، فالأول هو الذي يوصف بأنه تجسس للكفار ويسمى بجاسوس أو عين المشركين، أما الثاني فلا يحل وصفه بذلك بحال من الأحوال، ولذلك فقد أحسن البيهقي في سننه وأجاد؛ حين بوب لقصة حاطب بقوله: (باب: المسلم يدل المشركين على عورة المسلمين) (9 / 146)، وبعد ذلك مباشرة بوب بقوله: (باب الجاسوس من أهل الحرب) (9 / 147). لكنه أورد في هذا الباب حديث عين المشركين الذي قتله سلمة بن الأكوع بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ونفله سلبه، وكذا حديث فرات بن حيان، فتأمل التفريق بين من كان بالفعل جاسوسا وعينا للمشركين ويتجسس نصرة لهم وإضرارا بالمسلمين، وتأمل حكم الرسول فيه، وبين من لم يكن كذلك، بل هو من جملة المسلمين وخلاصة أنصار الدين لكن أفشى سرهم متأولا أن لا ضرر في ذلك.

- ومع هذا تعالوا فلننظر إلى ظاهر هذه الزلة التي زلها حاطب، وكيف كان ينظر إليها الصحابة، وما حكمها عندهم مع أنها حادثة عين وزلة واحدة لهذا الصحابي، وليست هي جنس عمله ومنهجه، كما هو حال عساكر الشرك والتنديد.

فحاطب نفسه كان يعرف أن ظاهر مثل هذا العمل الأصل فيه أنه كفر وردة عن الدين، ومن فعله فإن الحكم الظاهر له أنه كافر مرتد، بل هذا الظاهر دليل على فساد الباطن كما تقدم في قوله تبارك وتعالى {**ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء**} ولا يخصص من هذا الظاهر أو يستثني إلا من استثناه الله تعالى المطلع على البواطن أو النبي الذي يوحي إليه، لذلك كانت أول كلمات اعتذر بها حاطب للنبي صلى الله عليه وسلم أن قال كما في البخاري (ما فعلت ذلك كفراً ولا إرتداداً ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام)

والمبادرة منه رضي الله عنه إلى هذا القول من أظهر الأدلة على أن الصحابة قد كان مستقرا عندهم أن الأصل في ظاهر هذا العمل أن يكون ردة وكفراً، وأنه دلالة على فساد الباطن كما في الآية.. ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (دعني أضرب عنقه)، ولا يقال أن الرسول صلى الله عليه وسلم أنكر على عمر فهمه بأن تلك الفعلة الأصل فيمن أظهرها الكفر.. كلا، فما في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من ذلك؛ ومن قال ذلك، فقد قوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم يقله، وإنما الذي قاله الرسول عليه الصلاة و السلام؛ أنه استثنى حاطباً من أن يكون قد كفر في هذه الحادثة.. باطلاعه من طريق الوحي على سريرته وأنه لم يفعله نصرة للمشركين ومظاهرة لهم على الموحدين، وذلك بعد مقالة حاطب (ما فعلته كفراً ولا ارتداداً) فقال صلى الله عليه وسلم: (قد صدقكم..) وقال: (وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) فهذا الصحابي البدري قد استثناه النبي صلى الله عليه وسلم وزكاه وشهد بصدق سريرته وباطنه وأنه لم يفعل ذلك ردةً أوكفراً أي لم يكن فعله نصرة ومظاهرة للمشركين على المسلمين، بل كان إفشاؤه لسر رسول الله مع تأوله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم منصور مؤيد لا محالة من الله؛ كبيرة من كبائر الذنوب اغتفرت مع كونه بدرياً..

فهل في المهوّنين من شأن موالاة الكفار والمشركين ونصرة عبيد الياسق والدساتير، المتنطعين بقصة حاطب، هل فيهم أو فيمن يجادلون عنهم اليوم على وجه الأرض بدرياً اطلع الله على قلبه وأخبر أنه لن يكفر أويرتد، وأطلعنا أن انحيازه إلى شق الكفار وعدوة المشركين وحد المرتدين ليس نصرة لهم ولا مشاقة للمسلمين ومحادة لدينهم؟؟ ومن ثم يقال لهم اعملوا ما شئتم فإن

كل ما ستعملونه مغفور لكم؛ لأنه لن يصل بحال إلى الكفر؛ ليتهاونوا في مثل هذا؟ ويتساقطوا فيه تساقطاً..؟

هذا على فرض استواء عمل من يجادلون عنهم، بفعل حاطب، ونحن لا نسلم به..

ولا نسألهم مثل ذلك السؤال إلا بعد أن يكونوا ممن يطلعون على السرائر، ويملكون الشق عن قلوب الناس والتنقيب عن بواطنهم؛ فيميزون بين من يفعلها ردة وكفرا (كيدا وإضرارا بالمسلمين) .. وبين من قام في قلبه مانع للتكفير كمانع حاطب رضي الله عنه ، (وهو صدق الإيمان واليقين بنصر المسلمين، الدافع لتأوله بأن فعله لن يضر الإسلام والمسلمين بحال)؛ ودون ذلك خرط القتاد؛ فمن أين لهم ان يعلموا بعد انقطاع الوحي بصدق السرائر والبواطن من كذبها.. ومن يزكي لنا القلوب ويشهد لها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فهذا مانع من موانع التكفير الحقيقية التي لا يعلمها إلا الله عز وجل، ولذلك لم يجعل مناطاً للحكم على الناس في الدنيا.

لذلك كان الأصل فيمن أظهر تولي الكفار ونصرتهم والانحياز الى شقهم المشاق لله وحدهم المحاد لدينه وعدوتهم المعادية لشرعه؛ أن نحكم عليه بعد انقطاع الوحي بظاهره؛ والله يتولى السرائر.. بل نستدل بما أظهره من كفر على فساد باطنه، ولا يحق لنا أن نستثني أعيانا معينين بدعوى وجود موانع للكفر مغيبة باطنية او قلبية غير ظاهرة، لأن ذلك إن كان ممكنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو غير متأت لنا ولسنا به مكلفين؛ لأن الوحي قد انقطع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام: (إن ناساً كانوا يأخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقرّبناه وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسب سريرته، ومن أظهر لنا سوءً لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال أن سريرته حسنة) رواه البخاري في صحيحه.

فمن تولى الكفار وأظهر نصرتهم أو نصرة شركهم وانحاز إلى شقهم وحدهم وعدوتهم؛ عاملناه بما أظهر، ونحن مأجورون في إجراء أحكام الكفار عليه فسريرته ليست إلينا بعد انقطاع الوحي.. ولم نأمر بالشق عن قلوب الناس.. وليس لنا إلى ذلك سبيل.. ولذلك فاستثناء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب في هذه الواقعة من خصوصياته التي اختصه الله بها بما أطلعه على الغيب، ولا مجال للقياس عليه.. فليس لأحد أن

يستثني بعد رسول الله، ولو تركنا حادثة العين هذه في حق الصحابي الذي كان من جنود التوحيد، ولا يصح بحال مقايسة زلته بكفريات جند الطواغيت، ونظرنا إلى الأصل المحكم في سيرة الرسول في طريقة تعامله مع من إظهر تولي الكفار وصار في صفهم ومن جندهم؛ وزعم أنه مع ذلك يبطن الإسلام والإيمان.. – وهذا هو التوصيف الحقيقي لواقع جند الطواغيت الذين يجادل عنهم المجادلون – فسنجده صلى الله عليه وسلم قد عامل من زعم أنه يبطن الإسلام من أسارى بدر بمعاملة الصف الذي كانوا فيه والعدوة التي خرجوا فيها، وما التفت إلى زعمهم ذاك، ولا عبأ به، لأنهم كانوا في صف الكفار وحد المحادين لله وعدوة الشرك وأهله، ومنهم عمه العباس كما تقدم.. ولذلك قال الله تعالى: {**يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يأتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم**}.. أي: يعلم ذلك منكم علم واقع بإظهاركم للإسلام وإعلانكم البراءة من الشرك، وترككم لصف الشرك وانحيازكم لصف التوحيد.. ولذلك عوض النبي صلى الله عليه وسلم عمه العباس عن فدائه بعد إظهاره للإسلام وانحيازه للمسلمين، وقد كان يقول بعد ذلك (فيَّ أنزلت هذه الآية).. فليست القضية بالمزاعم دون ان يصدق ذلك العمل..

فهذه هي القاعدة وهذا هو الأصل فيمن كان في صف الكفار وعدوتهم وشقهم او أظهر توليهم ونصرتهم..

وقد علمت أن حاطبا رضي الله عنه لم يكن في صف المشركين ولا كان من جندهم، بل كان في صف الموحدين ومن جندهم، و كان واثقاً بنصر الله لنبيه لذلك قال: كما في رواية أحمد وأبو يعلى: (أما إني لم أفعله غشاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفاقاً؛ **وقد علمت أن الله تعالى مظهر رسوله ومتم نوره**).

ولذا قال الحافظ في الفتح (634/8): (عذر حاطب ما ذكره، فإنه صنع ذلك متأولاً أن لا ضرر فيه).

فهو حين أفشى ذلك السر كان يعلم أنه لن يضر به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، لانه مؤمن بنصر الله لرسوله كما قال، وقد صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق سريرته بقوله (صدقكم) فعلم انه لم يكن بعمله ذلك ناصراً للمشركين مظاهراً لهم على المسلمين، فقد استقر في يقينه أن الرسول منصور لا محالة من ربه وأن عمله ذاك لن يضره ولن ينصر المشركين.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري (7/521) عن بعض أهل المغازي، قال: وهو في (تفسير يحيى بن سلام) أن لفظ كتاب حاطب إلى كفار قريش: (أما بعد، يا معشر قريش فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بجيش كالليل يسير كالسيل **فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز وعده** فانظروا لأنفسكم والسلام) وكذا حكاه السهيلي.. فهو إنذار كالتهديد وكالدعوة إلى التوبة.. وانظر في هذا والذي قبله وتأمل ثقته بنصر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وتعظيمه من شأنه، ومع هذا كله فقد أنزل الله تبارك و تعالى بسبب فعلته هذه آيات عظيمات تقشعر منها جلود الذين آمنوا، فقال عز من قائل: {**يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما اخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل**} الممتحنة.

ومعلوم أن حاطبا لم يوادد أعداء الله وإنما دفعه إلى ذلك العمل كما في حديث البخاري خوفه على ضعفة أهله الذين كانوا في مكة.. لكن الآيات نزلت عامة -كعادة القرآن في كثير من الوقائع - تقطع الطريق الموصلة إلى ما ينهى عنه، وتسد ذرائع المودة والتولي لأعداء الله..

وأخيراً فلو تأمل العاقل في فعلة حاطب هذه وكيف شدد فيها، وكيف أنزل الله بسببها هذه الآيات العظيمة؛ مع ما تقدم فيها من أحوال.. ثم نظر بعد ذلك في أحوال جيوش الردة هذه وعساكر الشرك والتنديد وما يمارسونه من حماية للكفر ونصرة للقانون الوضعي وتثبيت لعرش الطاغوت الذي أمروا أن يكفروا به.. لعرف – إن كان له قلب حي – أن الخطب جلل، وأن الأمر جد خطير.. وليس هو كما يحاول أهل التجهم والإرجاء على اختلاف توجّهاتهم تصويره وتهوينه...

إذ التوحيد هو العروة الوثقى التي عليها مدار النجاة.. ومن خذله أو حاربه ووقف بالصف المحادد والعدوة المناوئة له؛ فقد باع أخراه بدنياه وصار من الجند الذين قال الله فيهم: {جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب**} وقال: {**فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون.. **}.**

الإصابة

في براءة الصحابي أبي لبابة

وقبل أن أختم هذه الرسالة أذكر أن أهل التجهم والإرجاء لم يفتروا على الصحابي حاطب وحده بأن ساووه بجند الطواغيت وعساكرهم، بل سمعت من بعضهم أيضاً من يدفع تكفير عساكر الشرك والتنديد بالطعن في صحابي آخر؛ هو أبو لبابة ابن المنذر الأنصاري؛ فوصفوه بالخيانة ونصرة المشركين على الموحدين؛ جازمين بأن قوله تعالى: {**يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله وتخونوا أمانتكم وأنتم تعلمون**} من سورة الانفال؛ قد نزل فيه، حيث استشاره حلفاؤه من بني قريظة بالنزول على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فأشار بيده إلى حلقه (يعني الذبح)، ليخلصوا بذلك إلى أن عساكر الشرك والتنديد لا يكفرون إذ أن فعل أبي لبابة بزعمهم هو عين فعلهم ومع هذا لم يكفره النبي صلى الله عليه وسلم..

فتأمل كيف تلاعب الشيطان بهم حتى طعنوا بصحابة النبي صلى الله عليه وسلم وصيروهم أنصارا للشرك والتنديد ليدفعوا بذلك ويجادلوا عن عساكر الطواغيت.. واحمد إلهك أن هداك إلى الحق المبين وعافاك مما زل وضل به كثير من الناس..

واجعل لقلبك مقلتين كلاهما من خشية الرحمن باكيتان

لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم فالقلب بين أصابع الرحمن

ثم يقال في هذا إن صح؛ ما قلناه في شأن حاطب أنه إفشاء لسر المسلمين وليس تجسسا عليهم، ولا مظاهرة ونصرة لليهود علي المسلمين، فبني قريظة قد خذلهم الله وتمكن منهم المسلمون وأحاطوا بهم، وكل ما في الأمر على أي حكم يستسلموا وينزلوا؛ وعلى هذا مدار الأثر لا غير؛ فكيف تصح مقايسته بواقع أنصار الطواغيت وجواسيسهم الذين يثبتون عروشهم ويقيمون سلطانهم وينصرون دولهم ويظاهرونهم على الموحدين..

أقول هذا في حال القطع بثبوت الخبر، وإلا فالأمر كما قال الطبري بعد ان ساق روايات في أسباب نزولها..

فذكر ما يُروى من أنها نزلت في أبي لبابة.. وما يروى من أنها نزلت في رجل من المنافقين كتب إلى أبي سفيان في غزوة من غزوات النبي (إن محمداً يريدكم فاحذروه).

فقال رحمه الله: (ولا خبر عندنا بأي ذلك كان، يجب التسليم بصحته) أهـ.

ومعلوم أن السيرة فيها الصحيح والضعيف.. والمحتج بشيء من ذلك مطالب بإثباته أولاً.. فيقال لهم: اثبتوا العرش ثم انقشوا، وإلا فإن نقشتم قبل ذلك خرج نقشكم أعوجاً..

قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة أبي لبابة: (روى ابن وهب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر أن أبا لبابة ارتبط بسلسلة ربوض (الربوض الثقيلة) بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه فما يكاد يسمع، وكاد أن يذهب بصره وكانت ابنته تحله إن حضرت الصلاة أو أراد ان يذهب لحاجة وإذا فرغ أعادته إلى الرباط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو جاءني لاستغفرت له).

قال أبو عمر: (اختلف في الحال التي أوجبت فعل أبي لبابة بنفسه، **وأحسن ما قيل في ذلك** [3] ما رواه معمر عن الزهري قال: كان أبو لبابة ممن تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فربط نفسه بسارية وقال: والله لا أحل نفسي منها ولا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى يتوب الله علي أو أموت، فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا شراباً حتى خر مغشياً عليه ثم تاب الله عليه، فقيل له: قد تاب الله عليك يا أبا لبابة فقال: والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني، قال: فجاء رسول الله صلة الله عليه وسلم فحله بيده. ثم قال أبو لبابة.. يا رسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن انخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى الرسول، قال: يجزئك يا أبا لبابة الثلث).

وروي عن ابن عباس من وجوه، في قوله تبارك وتعالى {**وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئا**} أنها نزلت في أبي لبابة ونفر معه سبعة أو ثمانية أو تسعة تخلفوا عن غزوة تبوك ثم ندموا وتابوا وربطوا أنفسهم بالسواري فكان عملهم الصالح توبتهم، وعملهم السيئ تخلفهم عن الرسول صلى الله

---

[3] تأمل هنا قوله (وأحسن ما قيل في ذلك) فإنه ترجيح منه .

عليه وسلم، وقال أبو عمر: (.. **وقد قيل** [4] أن الذنب الذي أتاه أبو لبابة كان إشارة إلى حلفائه من بني قريظة أنه الذبح، إن نزلتم على حكم سعد بن معاذ وأشار إلى حلقه..)أهـ

وقد ذكر الخلاف في ذلك ابن الأثير في كتاب أسد الغابة.

فتأمل يا أخا التوحيد حال حجج القوم التي يتلقفونها من هنا وهناك، ليصادموا بها النصوص المحكمات ويطعنوا بها في نحر قواعد الإسلام وجباله الراسيات؛ فإنها نصوص مختلف فيها محتملة الدلالة، غير قطعية الدلالة على ما ذهبوا إليه، ويحتاجون أولاً إلى اثباتها قبل الإحتجاج بها، فكيف إذا أضيف إلى ذلك أنهم يعارضون بهذه النصوص – التي حالها كما رأيت – أصل الدين (التوحيد)، ويسوغون بذلك حماية ونصرة الشرك والتنديد؟..

اللهم إني أبرأ إليك من الضلالة، وممن يلبس التوحيد بالشرك والباطل والتنديد..

اللهم إني أحتسب عندك دفعي عن أنصار دينك ممن اصطفيتهم لصحبة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم.

اللهم إني أبرأ إليك من طعن الطاعنين فيهم؛ للترقيع لجند القوانين والجدال عن عساكر الشرك والتنديد، وتسويغ باطلهم وتوليهم للطواغيت.

وصل اللهم وبارك على نبيك محمد وعلى آله الطيبين وصحابته المجاهدين الصادقين وسلم تسليماً كثيراً.

وكتب أبو محمد المقدسي

الثاني من ذي الحجة لسنة 1416 من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم

منبر التوحيد والجهاد

* * *

tth
tth
tth
tth
tth

[4] وتأمل قوله هنا